تعليمية اللغة العربية عند ابن خلدون (تابع)

يقول ابن خلدون " اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن ...وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها والله يهدي من يشاء."

بعد عرضنا نص ابن خلدون في المحاضرة السابقة ، يمكن أن نستنتج بعض ملامح تعليم العربية عنده :

- حفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين في سائر فنونهم حتى يتنزل منزلة من نشأ بينهم.
- الاستعمال الصحيح ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتآليف كلامهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم.
- الملكة : هي الحفظ + الاستعمال وبهما يتحقق حصولها.
- الرسوخ في الملكة : سلامة الطبع+ التفهم الحسن لمنازع العرب + أساليبهم في التركيب ومراعاة التطبيق بينها ومقتضيات الأحوال ، وهذا كله يعني البلاغة التي هي مراعاة الكلام لمقتضى الحال مع الفصاحة.
- الذوق : لا بد منه في جودة الكلام وهو ينشأ ما بين الملكة والطبع السليم.
- الذوق هو حصول ملكة البلاغة للسان ، والبلاغة هي مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك.
- إن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالّها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل. كيف تحصل ملكة البلاغة في اللسان؟ تحصل هذه الملكة بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العملية التي في ذلك مما استنبطه أهل صناعة البيان. فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان ، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلّها.
- تتقرر فائدة هذه الملكة في كونها تهدي البليغ إلى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم والحيد عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة يرفضه كل من لسانه وملكته الراسخة.

- مفهوم الذوق في تحصيل الملكة : "... واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان . والذوق إنما هو موضوع لإدراك الطعوم ، ولكن لما كان محلّ هذه الملكة في اللسان ، من حيث النطق بالكلام ، كما هو محل لإدراك الطعوم استعير له اسمه"
- ملكة الاعجمي ناقصة ومخدوشة لأنها مسبوقة بملكة لغة الأم ، لا يحصل الذوق – الملكة– بالقوانين البيانية ، ومن ظن ذلك فقد غلط.

وعليه يقدم ابن خلدون الملكة على النحو ، والملكة هي الحفظ والاستعمال على سمت كلام العرب إلى درجة الرسوخ فيها. والرسوخ فيها يعني حصول ملكة البلاغة في اللسان التي ليست تحصل هي أيضا بمعرفة النحو ، أعني القوانين العملية الت تحكم البيان العربي ، لان هذه تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل.

إن نص ابن خلدون وجه إلى أهل العربية ممن فسدت ملكتهم وذهبت بسبب امتزاج العجمة بها ولهذه الخاصية كان تعليمهم العربية قائما على الملكة ثم النحو ثم الاستعمال على كلام العرب وهذا يلزم عنه رسوخ الملكة ، ملكة البلاغة في اللسان ، وفي هذه الحال تبقى ملكة الأعجمي في نظر ابن خلدون ناقصة ومخدوشة لأنها مسبوقة بملكة لغة الأم.